مسلم وطنا مسيحي دينا

obeikan.com

obeikan.com

مسلم وطنا مسيحي دينا

قضية العلاقة بين المسلمين والأقباط في مصر ـ قضية واضحة لا شبهة فيها يعرفها بالضرورة كل مسلم وكل قبطي، وهي علاقة الانتماء إلى الحضارة الإسلامية، المسلم ينتمي إلى الإسلام كدين وكثقافة وكحضارة وكوطن، والقبطي ينتمي أيضًا إلى الإسلام كثقافة وكحضارة وكوطن.

وهذه الأرضية الصحيحة للالتقاء ـ حقيقة تاريخية ـ تؤكدها العقائد والمصالح، وليس غريبا أن يعبر رجل مثل مكرم عبيد عن هذا المعنى بقوله (إنني مسلم وطنًا مسيحي دينًا).

ومكرم عبيد هنا لا يطلق تعبيراً عاطفيًا،بل هو يؤكد ويعكس وجدان كل قبطي عاش ويعيش وسيعيش بإذن الله تعالى على أرض مصر الطاهرة، نعم مكرم عبيد هنا يعكس التراث القبطي والالتزام القبطي والموقف القبطي الصحيح.

والحقيقة أن قضية العلاقة بين المسلمين والأقباط في مصر ـ علاقة محسومة ـ وتعكس وحدة النسيج الوطني الذي يشكله المسلم والقبطي معًا، وليس هناك الآن ـ ولم يكن هناك بالأمس، ولن يكون هناك في الغد بإذن الله تعالى مشكلة بين المسلمين والأقباط.

ولكن الحقيقة أن المشكلة هي بالتحديد بين من يتمسكون بالانتماء إلى الوطن والحضارة والثقافة الوطنية. ويرفضون علاقات التبعية للغرب سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، وبين هؤلاء الذين يريدون لأمتنا أن تخضع أو تذوب أو تلحق بذيل الحضارة الغربية.

هؤلاء بالتحديد هم الذين يثيرون من وقت لآخر قضايا الفتنة الطائفية. أو يحاولون زراعة الفتنة ـ أو يستخدمون قضية الأقباط كقفاز يلقونه في وجه الأمة بهدف تمزيق وحدتها أو قطع صلاتها بأصولها التاريخية، وهؤلاء مرفوضون من المسلمين والأقباط على حد سواء.

نعم المشكلة ليست بين المسلمين والأقباط ـ فهؤلاء نسيج وطني واحد ينتمي جملة وتفصيلاً إلى الحضارة الإسلامية ويعضون عليها بالنواجذ ويؤمنون إيمانا راسخًا بأن بناء المستقبل لن يكون إلا من خلال قيم تلك الحضارة ـ ولكنها بين المسلمين والأقباط من ناحية وبين دعاة التغريب والثقافة الغربية من ناحية أخرى. وهكذا ليس عجيبًا أن تجد أن المطالبين مثلاً بالشريعة الإسلامية هم من المسلمين والأقباط على حد السواء.أما أعداء الشريعة الإسلامية فهم الخارجون على الإسلام والقبطية أيضًا على حد سواء.

وهذا الكلام ليس كلامًا عاطفيًا، بل هو ترجمة أمينة لبحث أجراه المركز القومي للأبحاث الجنائية والاجتماعية بالقاهرة سنة ١٩٨٥ تحت إشراف الدكتور أحمد المجذوب ـ وظهرت نتائجه لتؤكد أن أكثر من ٧٢٪ من الأقباط يريدون تطبيق الشريعة الإسلامية بل وبعضهم شديد الحماس لها.

والحقيقة أن عقائد الإسلام. وتراث الحركة الإسلامية ومواقفها ـ وكذلك عقائد الكنيسة القبطية وتراثها ومواقفها تؤكد حقيقة الانتماء إلى الحضارة الإسلامية.

وأن هؤلاء الذين يحاولون استغلال موضوع العلاقة بين المسلمين والأقباط في مصر ما هم إلى صنائع الاستعمار، ومن المعروفين بصلاتهم المشبوهة بدوائر الصهيونية وأمريكا وغيرها.

وهؤلاء يعادون كل ما هو وطني سواء كان إسلاميًا أو قبطيًا ـ وليس اهتمامهم بما يسمى بحقوق الأقليات إلا محاولة خبيثة للعب بقضية خطيرة مثل هذه ـ بهدف إثارة الشقاق أو دفع الأقباط إلى العزلة، أو وضع الحركة الإسلامية المناهضة للاستعمار والصهيونية في خندق الدفاع وإثارة الشبهات حولها.

وما دام الأمر كذلك ـ فإن المسلمين والأقباط معًا مدعوون إلى مزيد من التحالف والتلاحم لدرء هذه الفتنة وعزل تلك العناصر المغتربة والمشبوهة الارتباطات، والطرفان أيضًا مدعوان للحوار وعدم الاستماع إلى أراجيف تلك الزمرة المشبوهة، ومدعوان إلى فهم بعضهم بعضًا حتى يظل النسيج الوطني سليمًا غير قابل للاختراق.

انظر مثلا إلى هؤلاء الذين يرفعون راية الدفاع عن حقوق الأقباط. لا تجد منهم أحدًا إلا متهم في وطنيته أو دينه أو حوله عشرات علامات الاستفهام حول ارتباطاته.

انظر إلى لويس عوض ـ فرج على فودة ـ نوال السعداوي ـ أليسوا هم أنفسهم الذين يروجون للتطبيع مع الكيان الصهيوني؟ أليسوا هم أنفسهم المدافعون والمروجون لقيم الحضارة الغربية؟ أليسوا هم أنفسهم المعادون لكفاح الشعب المصري بمسلميه وأقباطه؟

فلويس عوض مثلاً يرى أن الحملة الاستعمارية الفرنسية سنة ١٧٩٨ هي حملة تنوير وهي فجر اليقظة القومية. فهل ينتظر من رجل يقول هذا عن حملة استعمارية أن يقول إلا كل ما هو خادم لمخطط الاستعمار والتغريب؟

وفرج على فودة. هو " الزبون " الدائم على مائدة السفير الإسرائيلي في مصر، وهو الذي لا يخفى إعجابه بأمريكا والغرب.

ونوال السعداوي أليست هي ذاتها التي تدعو صباحًا ومساءً إلى الانحلال بدعوى حرية المرأة؟ بل وتمولها مؤسسة فورد كوندیشن الأمريكية لعقد المؤتمرات التي تطالب باغتراب المرأة وتخليها عن قيم الحضارة الإسلامية؟

أليس هؤلاء أنفسهم هم الذين يذهبون إلى أمريكا، ويكتبون في صحفها عن المذابح الطائفية في مصر؟ ويدعون الأمريكان للتدخل لإنقاذ المسيحيين المصريين من المسلمين المصريين؟

انظر وتأمل ـ لتعرف أي شر وأي خطر يراد بوطننا العظيم الذي يصر أبناؤه الشرفاء من مسلمين وأقباط على استقلاله وحريته وتمسكه بقيمة الحضارية الثابتة.

وإذا حاولت أن تمعن النظر في " تكتيكات " وأطروحات هؤلاء ـ لاكتشفت أن المخطط يركز على نقاط معينة يظنونها أضعف الحلقات في النسيج الوطني، وهي قضايا المرأة والأقليات وإثارة الشبهات حول الكفاح الشعبي.. فنوال السعدوال تركز هي وزمرتها على قضايا المرأة، ظنًا منها أنه يمكن خداعها تحت شعار حرية المرأة وتخلصها من التخلف والحجاب وغيرها.

وفرج فودة يركز على إثارة الشبهات على الإسلام عمومًا وعلى الحكم الإسلامي خصوصًا، ولويس عوض يحاول أن يشوه كل حلقات الكفاح الشعبي ويثير حولها الشكوك. وهم جميعًا يلعبون على وتر الحقوق القبطية وغيرها.

سيخيب فأل هؤلاء إن شاء الله، لأن الأقباط لن يبتلعوا الطعم ـ لأن لهم رصيدًا تراثيًا ولهم وعيًا حاضرًا يجعلهم في مأمن من هذا الخطر. ويجعلهم ينحازون إلى حضارة الأمة وثقافتها.

وكذلك المرأة المصرية المسلمة والقبطية ـ تؤكد في كل يوم تمسكها بقيم الإسلام واستلهامه في خوض المعارك ضد الاستعمار والصهيونية والتخلف والتبعية جنبًا إلى جنب مع الرجل.

وأيضًا فإن المصري المسلم والقبطي يعتز بكفاحه الإسلامي ضد الاستعمار ورموزه وأعوانه ـ المسلم والقبطي كل منهم يعتز بسليمان الحلبي ـ وعمر مكرم ـ والأفغاني والنديم ـ ومصطفى كامل ـ ومحمد فريد ـ وحسن البنا ـ بل ويعتز كل منهم بإبراهيم الورداني الذي قتل بطرس غالي.

المسألة في رأيي صراع حضاري بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، ومادام الأمر كذلك فإن الحضارة الغربية تستخدم معنا أسلوب الاختراق الطائفي كما فعلت الحملات الصليبية بالضبط وبالتالي كان علي أن أهتم بأن الإسلام دين وحضارة، وأن الإسلام وحضارته لم ينقطعا وما يزال التواصل الحضاري قائمًا وأن المستقبل

للإسلام وحضارته، وأن هناك حربا صليبية جديدة نعيشها بأشكال مختلفة، وأن القيم الحضارية الإسلامية قيم صالحة وعالمية ولهذه الأسباب فإن الحضارة الغربية التي تدرك هذا تريد في إطار صارعها مع الحضارة الإسلامية أن تضرب على وتر الطائفية وتعمل من خلال الاختراق الطائفي لتثبت من ناحية أن الحضارة الإسلامية غير قادرة على أن تكون حضارة عالمية بديلة ولتثبت من ناحية أخرى أنها ـ أي الحضارة الغربية ـ ليست وحدها المتهمة والموصومة بالتعصب.

وفي هذا الإطار أيضًا حرصت على أن أهتم بإبراز القيم الحقيقية للحضارة الغربية وهي قيم الطائفية والعنصرية والتعصب والمعايير المزدوجة وبالتالي عدم صلاحيتها لأن تكون حضارة عالمية، لأن الحضارة العالمية ينبغي أن تكون حضارة ذات قيم عالمية وأنها حضارة لا طائفية ولا عنصرية ولا مزدوجة المعايير، المسألة إذن مسألة صراع حضاري، بين حضارتين حضارة تمثل الوثنية والعنصرية وهي الحضارة الغربية وحضارة تمثل الوثنية والعنصرية وهي الحضارة الغربية وحضارة تمثل العدل والحرية واللا عنصرية واللاطائفية وهي الحضارة الإسلامية إذن فالتأكيد على كون الإسلام دينا وحضارة، وكون الإسلام متواصلا حضاريا، وكون هناك تعصب صليبي غربي، وكون الإسلام وحده هو الحضارة التي تمتلك صفات الصلاح والعالمية أمور كلها تفسر لماذا هذه المحاولات المستمر لزرع الطائفية في بلادنا، ولماذا نقول نحن بأن مشروعنا الحضاري يضم المسلم والقبطي على حد سواء لأنهم ذوو ثقافة وحضارة مشتركة أولا، ولأن الغرب ليس مسيحيا بل وثنيا، وأن مقولاته حول وحدة الدين المسيحي مع مسيحي الشرق ليس إلا مجرد كذب، لأن مسيحي الشرق لن يندمجوا مع حضارة وثنية وغربية أولا، ولأنهم جزء من السياق الحضاري الوطني الإسلامي ثانيا، وأن مقولاته حول وحدة الدين المسيحي مع مسيحي الشرق ليس إلا مجرد كذب، لأن مسيحيي الشرق على حد سواء.

والمسألة إذن هي مسألة فرز حضاري وليس طائفي ـ من كان منحازا إلى المشروع الوطني فهو على الموقف الصحيح سواء كان مسلما أو قبطيا، ومن كان منحازا إلى المشروع الحضاري الغربي فهو إما خائن أو جاهل سواء كان مسلما أو مسيحيا وفي

هذا الإطار فإننا لا نملك إلا وضع الحقائق والوثائق بلا حساسية لأننا إن تصرفنا بحساسية تجاه مسيحي مثلا وأعفيناه من الفرز الحضاري أو استثنيناه من النقد لأنه قبطي لكان هذا سلوكا طائفيًا، السلوك الحضاري يحتم علينا أن نعامل الجميع مسلمين وأقباطا ومسيحيين شرقيين عموما بنفس المعيار ونكيل له بنفس المكيال، لأن حضارتنا هي حضارة عدم ازدواج المعايير.

obeikan.com